السيرة النبوية

عام الحزن

إعداد

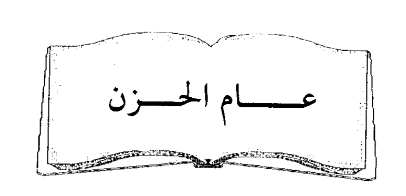
محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



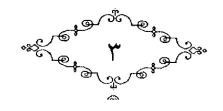
عام الحزن

فى القصة السابقة علمنا أن أهل مكة حاصروا رسول الله ﷺ فى شعب عبد المطلب ومنعوه من الطعام والشراب والملبس حتى أتى نصر الله وأكلت الأرض الصحيفة التى كتبوها ووضعوها فى جوف الكعبة ولم تترك إلا اسم الله .

وعاد رسول الله ﷺ مرة أخرى ليجتهد فى أمر الدعوة ، ولكن كانت الصدمة الأليمة التى أحزنت رسول الله ﷺ حزنا شديدًا هذه الصدمة هى :

*** مرض عمه أبي طالب ووفاته :**

مرض أبو طالب مرضا شديدًا ، فجاءت قريش وجاء النبى ﷺ



وجلس عند رأس عمه أبى طالب .

فقال أبو جهل : يا أبا طالب إنا نشكوا إليك ابن أخيك محمداً.

فقال أبو طالب : يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟!

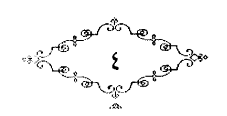
فقال محمد ﷺ : « يا عم إنما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب، وتؤدى إليهم بها الجزية العجم ، كلمة واحدة ».

فقال : وما هى ؟

فقال رسول الله ﷺ: « لا إله إلا الله» .

فقال أهل قريش : أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب؟!

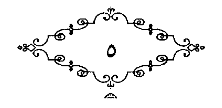
ونزل فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي



الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ (٧)﴾ [سورة ص: ١-٧].

واجتمع أهل قريش حول أبى طالب وقالوا له : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟

وظلوا يحدثونه وهو ينظر إليهم ولا يوافقهم حتى انصرف رسول الله ﷺ وأبو طالب لا يزال على عبادة الأصنام يخشى أن يخالف قومه حتى لا يضروا محمدًا ﷺ وأولاده.

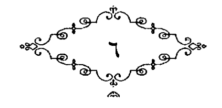


ومات أبو طالب ، وهو لا يزال على الشرك ، ونزل فى ذلك قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)** ﴾ [القصص: ٥٦] .

وهذه الآية تخبرنا على حرص رسول الله ﷺ على دعوة عمه، والإلحاح فى الدعوة عسى أن يؤمن بالله فيشفع له فيدخله الجنة ولكن الله لم يكتب لأبى طالب الإيمان فمات على ما هو عليه.

ولكن الكل لا ينسى فضل أبى طالب ، حتى أن رسول الله ﷺ عندما قال له عمه العباس ـ رضى الله عنه ـ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟

فلم ينكر رسول الله ﷺ ذلك ، فهو أكثر الناس علما بفضل أبى طالب ، ثم رد على عمه العباس قائلا : « هو فى ضحضاح من نار

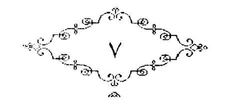


ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل » ، ومعنى هذا الحديث أن عم رسول الله ﷺ أبا طالب فى النار ، ولكن فى مكان يقل عذابه عن الأماكن الأخرى ، وسبب ذلك نصرته لرسول الله ﷺ .

ولقد اشتد إيذاء أهل مكة لرسول الله ﷺ بعد وفاة عمه أبى طالب حتى أن أحد السفهاء نثر على رسول الله ﷺ ترابًا ، فأصاب التراب رأس رسول الله ﷺ وجسده ، فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته ـ فاطمة ـ تغسله وتبكى ، ورسول الله ﷺ يقول : « لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك » .

ثم يقول : « ما نالنى من قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» .

فموت أبى طالب سبب لرسول الله ﷺ حزنا شديدًا جعله



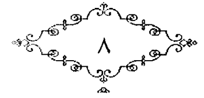
يبكى، ويشعر بالألم الشديد .

ولكن بعد وفاة أبى طالب جاء حزن أقوى من ذلك وأشد هذا الحزن هو :

موت زوجته خديجة ـ رضى الله عنها ـ :

حزن رسول الله ﷺ حزنا شديدًا لوفاة عمه ولكن كان حزنه أعظم لوفاة السيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ التى وقفت بجواره وساندته وحملت عنه همومه وآلامه.

وللسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ مكانة عالية ، فلقد جاء فى الحديث أن سيدنا جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام ، أو شراب ـ فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها



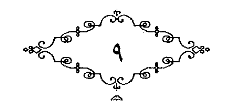
ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب ـ تعب ـ .

« أى بيت من لؤلؤ عظيم » .

ولقد ورد أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ رغم أنها لم تكن زوجته وخديجة على قيد الحياة إلا أنها كانت تغار منها غيرة شديدة جدًا ، لأن رسول الله ﷺ لم يذبح شاه إلا وتذكر أقارب وأصحاب السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ فكانت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول لرسول الله ﷺ : كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟

فيقول رسول الله ﷺ : لا إنها كانت وكانت ، وكان لى منها ولد» .

أى يعدد أفضالها ومحاسنها ، ويذكر أنها أم أولاده جميعا ما عدا



سيدنا إبراهيم فهو من « مارية » التى أهدادها له المقوقس .

فتصوروا معى أم أولاده وناصرته ، وكانت تقف بجواره فى السراء والضراء ، فكيف كان حزنه عليها؟!

لقد كان الحزن شديدًا ، والجرح ، عميق لموت السيدة خديجة - رضى الله عنها - خصوصا وأنها مانت بعد وفاة عمه بأيام . يقول أهل العلم : بعد وفاة عمه بخمسين يوما .

لذلك وبعد كل هذه الأحداث رأى رسول الله ﷺ أن يخرج إلى الطائف ، ويلتمس النصرة من ثقيف ، فخرج إليهم وحده.

* خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف :

بعد أن فقد رسول الله ﷺ عمه أبا طالب الذى كان يحميه وينصره ، ويساعده على قومه ، خرج إلى الطائف يطلب من ينصره

من أهل الطائف ، وعندما وصل إلى الطائف ذهب إلى ثلاثة نفر . هؤلاء الثلاثة إخوة ، ولكنهم كانوا سادة ثقيف أصحاب الرأى والنهى والأمر فى ثقيف .

وهم :

١ ـ عبد ياليْل بن عمرو بن عمير .

٢ ـ مسعود بن عمر بن عمير.

٣ ـ الأخ الثالث : حبيب بن عمرو بن عمير ، وكان عند أحدهم امرأة من قريش ، فجلس إليهم رسول الله فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءه من الحق ، وأنه يريد منهم النصرة على قومه ، فقومه قد أذوه واشتدوا فى تعذيبه وتعذيب من أسلم معه .

وكانت المفاجأة شديدة على رسول الله ﷺ حينما خلع أحدهم

ستار الكعبة وألقاها استهزاءا برسول الله ﷺ .

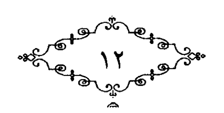
وقال الآخر : أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك !!

وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبدًا ، لئن كنت رسول الله ﷺ كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أردَّ عليك ، ولئن كنت نكذِبُ على الله ما ينبغى أن أكلِّمَك !!

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وهو يائس من ثقيف .

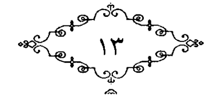
ومشى ولكن كان الحزن يلاحق رسول الله ﷺ ، فقد أوصى هؤلاء السفهاء الصبية والعبيد أن يلقوا الحجارة على رسول الله ﷺ .

وبالفعل ألقى الصبية والعبيد الحجارة على رسول الله ﷺ فهرب منهم وقدمه قد امتلأت بالدم .



واجتمع الناس ، وأخذوا رسول الله ﷺ ، وأجلسوه بجوار بستان لعتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة بن ربيعة ، وعندما أجلسوه تركوه، فحزن رسول الله ﷺ ثم قال : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ولما فرغ رسول الله ﷺ من مناجاته ربه عز وجل رآه ربيعة



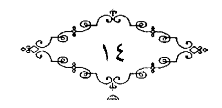
وعتبة أصحاب الحديقة فدعوا غلامًا يقال له «عداس» وأمراه أن يأخذ بعضا من العنب فيضعه فى طبق ، ثم يذهب به إلى رسول الله ﷺ، فيضعه بين يديه ، ويقول له : كل من هذا .

ففعل عداس ، فلما وضع الرسول ﷺ فيه يده قال: «باسم الله»، ثم أكل .

فنظر « عداس » فى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد .

فقال رسول الله ﷺ : « ومن أهل أى البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك ؟ » .

فقال عداس : نصرانى ، وأنا رجل من أهل « نَيْنَوى » فقال رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى » .



فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟

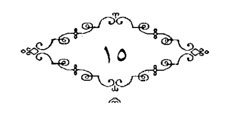
فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أخى كان نبيا وأنا نبى ».

فقبل عداس رأس رسول الله ﷺ ويديه وقدميه .

وهنا نظر الأخوان ، وقال أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عداس . قالا له : ويحك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال عداس : يا سيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبر بأمر لا يعلمه إلا نبى .

فقالا له : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.



وانصرف رسول الله ﷺ وقد يئس من خير يقدمه إلى ثقيف وامتلأ قلبه حزنا بعدما فشل مع أهل الطائف ، فسمى هذا العام . . . بعام الحزن.

لموت عمه ، ثم زوجته السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ ثم فشله فى دعوة أهل الطائف .

ولكن الأمر لم ينته عند ذلك ، فرسول الله ﷺ هو خير مثال للصبر والعزيمة فى ميدان الدعوة إلي الله.

